هوامش

بدأ أيمن سمرين مشروع توثيق الزي الفلاحي الفلسطيني منذ 4 سنوات، من خلال استخدام برنامج «أوتوكاد»، وهو برنامج للرسم والتصميم بمساعدة الحاسوب

يحتفظ سمرين برسومات الأثواب وتفاصيلها بشكل هندسي (Getty)

أيمن سمرين
توثيق الزي الفلاحي الفلسطيني

عمّان ـ **أنور الزيادات**

يسعى الفلسطينيون في الشتات للمحافظة على الصلة التي تربطهم بالوطن المحتل، وكل ما يربطهم بتراثهم. ويعتبر الثوب الفلسطيني الفلاحي، جزءاً من هذا التراث الذي يحكي قصة تمسكهم بالهوية والأرض الفلسطينية، والتي يحاول الاحتلال سرقتها وطمسها.

والثوب الفلسطيني هو الثوب الذي كان يرتديه الفلسطينيون قبل النكبة عام 1948م، وواصلوا ارتداءه على مدار سنوات طويلة تزيد على عمر دولة الاحتلال، في محاولة لتوريث الغرزة الفلسطينية وفن التطريز الشعبي من جيل إلى جيل.

المهندس الأردني أيمن سمرين، بدأ بمشروع لتوثيق الزي الفلاحي الفلسطيني منذ 4 سنوات، من خلال استخدام برنامج «أوتوكاد»، هو برنامج للرسم والتصميم بمساعدة الحاسوب يدعم إنشاء الرسومات ثنائية وثلاثية الأبعاد، ليوثق من خلاله التفاصيل الدقيقة للثوب الفلاحي الفلسطيني المطرز. ويقول سمرين لـ«العربي الجديد» إن الفكرة جاءت «عندما أردت أن أهدي إلى زوجتي ثوبا فلسطينيا بتفصيل مميز، فكانت المعضلة الأساسية ضرورة الحصول على الثوب الذي أعجبني للتطريز على شاكلته، فالمطلوب هو إحضار الثوب نفسه وتركه عند الخياط أو الخياطة شهرين أو ثلاثة أشهر، وهو أمر صعب فلا أحد يستغني عن ثوبه المطرز كل هذه الفترة».

ويوضح: «هذه الصعوبات ارتبطت بتطور الحياة وسرعة إيقاعها، ففي السابق كانت النساء تجتمعن معاً في بيئة قروية ويجلسن معاً لتفصيل هذه الأثواب، لكن اليوم تغيرت المعطيات، فكانت الفكرة أن من الأسهل الحصول على صورة الثوب بدلاً من الحصول على الثوب نفسه. وهذا هو المشروع الذي بدأت العمل به، فتصوير الثوب والحصول على رسم هندسي له يسهل على الآخرين تفصيل ثوب مماثل».

ويلفت المهندس سمرين إلى أن هناك هجمة شرسة من قبل اليهود تجاه الثوب الفلسطيني، ليس فقط الثوب، بل كل التراث الفلسطيني، خاصة وأنهم أصبحوا يستخدمونه وينسبونه إليهم، مثل لباس مضيفات شركة «العال» للطيران. ومن خلال تجربته يقول: «عندما تبحث عن تفصيل ثوب لا تجد «النقشات» متوفرة، خاصة وأن تطريز أي ثوب يحتاج أن يكون لديك الثوب الأصيل للنقل منه، وهذا يجعل المهمة صعبة، فهناك مئات الأثواب الفلسطينية التي تختلف في تفاصيلها، وتختلف من منطقة إلى أخرى». ويتابع: «فكرة توثيق الثوب الفلسطيني جاءت للحفاظ عليه من الاندثار، وخلق أرشيف موثق لمختلف أنواع الأثواب الفلسطينية، بتفاصيلها الدقيقة». لافتاً إلى جمع ما يزيد عن 270 ثوبا كل منها مختلف عن الآخر.

ويقول بأنَّ عملية التوثيق هي جهد فردي من خلال التواصل مع الأصدقاء والمعارف للحصول على الثوب، وبعد ذلك هناك غرفة أو استديو، ليقوم بتصويره ورسمه بشكل هندسي. مشيراً إلى أنَّه يبذل جهدًا كبيرًا للحصول على هذه الأثواب من مختلف المناطق، ومن ثم رسمها على برنامج «الأتوكاد» الذي يوفر الأرضية المباشرة لعدّ الخطوط الأفقية والعمودية بشكل دقيق، حتى تصبح مرجعاً في المستقبل لكل من يريد حياكة وتطريز الثوب الفلسطيني. ويحتفظ سمرين برسومات الأثواب وتفاصيلها بشكل هندسي، فهو يقوم بنقل الثوب غرزة غرزة إلى جهاز الكمبيوتر. لكنه يستدرك بالقول إن تفصيلها وحياكتها بشكل حقيقي وواقعي لوضعها أمام الجمهور والمهتمين يحتاج إلى كلفة عالية.

ويرى أنه في الفترة الأخيرة أصبح هناك ابتعاد وعزوف عن لبس الثوب الفلسطيني بشكل نسبي في الأردن مقارنة مع ثمانينيات القرن الماضي، بسبب الكلفة الباهظة جداً. خاصة وأن التطريز باليد، يحتاج إلى جهد كبير وهو أمر مكلف. فاليوم نادراً ما نشاهد الفتيات يلبسن الثوب الفلاحي، باستثناء المناسبات والأعراس وهي أيضاً نسبة غير كبيرة، إضافة إلى السيدات كبيرات السن في مخيمات اللجوء في الأردن. ويعتقد سمرين أنه قبل ظهور التطريز التقليدي، وانتشار لباس «الجلباب الإسلامي» كان الاهتمام من قبل الأغلبية بالثوب الفلسطيني أكبر، لكن إقبال الكثير من الفتيات والسيدات على الملابس الحديثة والجلباب، هو ثوب عملي وغير مكلف، أثّر على الاهتمام بالثوب التقليدي. ويضيف أنَّ الأثواب التراثية في الكثير من الأحيان تكون مرتفعة الثمن. وربما هناك من يشتريها بأسعار عالية، لافتاً في السياق إلى اهتمام كبير من الجالية الفلسطينية في الولايات المتحدة بشكل خاص بهذه الأثواب التراثية في الفترة الأخيرة، لتصبح موضة في الأعراس الفلسطينية.

باختصار

فكرة توثيق الثوب الفلسطيني جاءت للحفاظ عليه من الاندثار، وخلق أرشيف موثق لمختلف أنواع الأثواب الفلسطينية

■■■

الأثواب التراثية في الكثير من الأحيان تكون مرتفعة الثمن. وربما هناك من يشتريها بأسعار عالية

■■■

في الفترة الأخيرة أصبح هناك ابتعاد وعزوف عن لبس الثوب الفلسطيني بشكل نسبي في الأردن مقارنة مع ثمانينيات القرن الماضي

وأخيراً

سورية والغزو الثقافي الداخلي

خطيب بدلة

يتحدّث إعلام النظام الأسدي، بشكل دائم، عن مفهوم غريبٍ اصطلح على تسميته «الغزو الثقافي»، وملخّصهُ أن الدوائر الاستعمارية الإمبريالية الصهيونية لا يهمها من دول القارات الخمس غير سورية، قلب العروبة النابض، قلعة الصمود والتصدّي .. ولهذا تُصَدِّرُ لنا أفكاراً خبيثة، ملغومة، القصدُ منها زعزعة ثقافتنا القومية الاشتراكية، وتهديد وجودنا وكياننا، ليصبح سهلاً على الصهيونية العالمية وإسرائيل إخضاعُنا، وامتصاص خيراتنا، إلى آخر ما هنالك من هذا العلك الذي لا يسمن ولا يغني من جوع.

يتضمّن اختراعُ مفهوم «الغزو الثقافي»، في الواقع، دعوةً ملحّة إلى الانغلاق، وأن يكتفي الشعب السوري بقراءة منهاج التثقيف الحزبي، والإصغاء إلى قصائد صابر فلحوط ونجيب جمال الدين، ومشاهدة مسلسلات نجدت أنزور، وسماع برنامج «أرضُنا الخضراء» من الإذاعة، وحفظ خطابات حافظ الأسد وأعضاء القيادتين القومية والقُطرية لحزب البعث، وأمناء أحزاب الجبهة الوطنية التقدمية، وبالأخص الأخ صفوان قدسي زعيم حزب الاتحاد الاشتراكي الناصري، الذي كان يعترض على ترشيح حافظ الأسد لرئاسة الجمهورية مرة كل سبع سنوات، ويرى أن واجب السوريين كلهم انتخابه مرة واحدة، وإلى الأبد.

يتضمّن ترسيخ مفهوم الغزو الثقافي، من جهة أخرى، اتهاماً حقيراً للشعب السوري بأنه أهبل، مهزوز، يتلقى ما يأتيه من ثقافة الغرب الإمبريالي مثلما يتلقى الجائع رغيفاً تنورياً ساخناً، ويَقبل، برحابة صدر، أن يتشوّه تفكيرُه، ويتأمرك، ويتصهيَن، ويصبح جاهزاً للاقتلاع من الجذور. (للجذور، بالمناسبة، شجون أخرى عند الأنظمة الديكتاتورية، تشبه، إلى حد بعيد، الحديث عن «الأصل» الذي كان المطرب الصعيدي محمد طه يعبر عنه بإنهاء مواويله كلها بعبارة: ع الأصل دَوَّر).

تقول كتب التاريخ إن دولة الخلافة الإسلامية قد شهدت، في عهد الخليفة العباسي المأمون، أواخر القرن الثامن ومطلع القرن التاسع الميلادي، أكبرَ انفتاحٍ على الثقافات العالمية، فالمأمون، وبغض النظر عن مثالبه التي لا تختلف كثيراً عن مثالب بقية الحكّام، أحدث نقلة نوعية في بنية الدولة، إذ «شجع ترجمة الأعمال الفلسفية والعلمية اليونانية، وأسّس أكاديمية سُميت بيت الحكمة، واستورد من بيزنطة مخطوطات خاصة بالأعمال المهمة التي لم تكن موجودة في البلدان الإسلامية .. وفي سبيل تنمية الاهتمام بالعلوم، أنشأ مراصدَ تساعد العلماء المسلمين على التحقّق من المعرفة الفلكية التي دونت بلغتهم منذ العصور القديمة».. وفي عهده، بلغت المناظرات الفلسفية والفكرية الأوج. وقد مشى الأمر على هذا المنوال طيلة السنين اللاحقة من عمر هذه البلاد، فكلما انفتحت دولُها، أو دويلاتُها، على الثقافات الأخرى نمت وتقدّمت وازدهرت، وكلما اتجهت نحو التعصب والانغلاق ازداد التخلف، والجهل، واشتدّ ساعد الديكتاتورية، واحتدم التناحر القومي والمذهبي.

مشكلة الشعب السوري، برأي كاتب هذه السطور، ليست مع الغزو الثقافي الخارجي، بل الداخلي،

> نظام حافظ الأسد يعرف أنه مغتصِب الدولة السورية، مضمر استعبادها و تحويلها إلى جمهوريةٍ وراثية

المحلي، فنظام حافظ الأسد يعرف، تمام المعرفة، أنه مغتصِب الدولة السورية، مضمر استعبادها وتحويلها إلى جمهوريةٍ وراثية. ولهذا يجيب على أسئلة الشعب اليومية باختراع مفاهيم ومصطلحات كاذبة، يدافع بها عن نفسه، فإذا جاع الشعب، نتيجة النهب المنهج الذي تقوم به عصابته، يجيبه الإعلام بأننا دولة مواجهة، وهذا يتطلب تخصيص 85% من الموازنة السنوية لدعم القوات المسلحة. وإذا طالب بالحرية، يرد الإعلام بأننا نقوم بواجب «الصمود والتصدّي»، نيابة عن الأمة العربية كلها، ونسعى إلى تحقيق «التوازن الاستراتيجي». لذا لا بد من قانون الطوارئ، والأحكام العرفية، وتزويد أجهزة الأمن بما يكفي من الكراسي الألمانية والدواليب ومآخذ الكهرباء، وتوسعة السجون، ومدّها بعشرات ألوف من المعقلين، وضربهم، وكهربتهم وإذلالهم، ليصبحوا قادرين على حبّ القائد، والقائد بدوره يعرف كيف يستخدم التكتيك العسكري، ويترك للعدو الإسرائيلي، بين الحين والآخر، بضعة كيلومترات مربعة من الأرض، ويلتفت إلى الداخل، موعزاً لجوقاته الإعلامية بأن تغني أنا سوري وأرضي عربية، وتكتب على لافتاتٍ، تلعب بها الرياح: سورية الله حاميها.

سعر النسخة: مصر **جنيهان**، تونس **900 مليم**، لبنان **1000 ليرة**، قطر **3 ريالات**، السعودية **3 ريالات**، الكويت **200 فلس**، الإمارات **3 دراهم**، عمان **300 بيزة**، البحرين **300 فلس**، الأردن **400 فلس**، العراق **500 دينار**، المغرب **4 دراهم**، الجزائر **ديناران**، اليمن **50 ريالا**، سورية **25 ليرة**، السودان **10 جنيهات**، ليبيا **200 درهم**، موريتانيا **35 أوقية** ◻ UK **£ 1,20**, Austria **€ 2,20**, Belgium **€ 2,20**, France **€ 2,20**, Germany **€ 2,30**, Holland **€ 2,30**, Italy **€ 2,10**, Spain **€ 2,20**, Switzerland **CHF 3,50**
Turkey **TL 5,00**, USA **$ 2,00**